

الحلقة الرابعة والثلاثون

أعمال الرسل

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. نتابع اليوم دراستنا للأحداث المثيرة التي رافقت تأسيس الكنيسة المسيحية، وذلك من خلال كلمة الله المقدسة في سفر أعمال الرسل.

وكنا قد علمنا أن الكنيسة المسيحية بدأت بمعمودية التلاميذ من الروح القدس، وانضمام ثلاثة آلاف شخص إلى الكنيسة في يوم واحد. ثم تعرضت الكنيسة لاضطهاد عظيم واستشهد استفانوس، وتشتت المؤمنون. وبالرغم من ذلك فقد انتشرت المسيحية في مناطق عديدة وتأسست كنائس كثيرة. ونتيجة لرحلتي الرسول بولس الأولى والثانية في مدن تركيا واليونان آمن الكثيرون بالمسيح، رغم الإضطهادات الشديدة التي تعرض لها.

وفي رحلته التبشيرية الثالثة مكث الرسول بولس في أفسس بتركيا لمدة سنتين، حيث أجرى معجزات عديدة وآمن الكثيرون. وبعد هدوء الإضطراب الذي أثاره الصائغ ديمتريوس سافر إلى مقدونية ثم إلى اليونان. وفي طريق عودته إلى سورية توقف بولس في مدينة ترواس بتركيا، حيث وعظ المؤمنين وشجعهم، وأقام الشاب افتيخوس الذي سقط من الطبقة الثالثة. ثم ذهب إلى ميليتس واستدعى شيوخ الكنيسة في أفسس. وتحدث بولس إلى الشيوخ عن خدمته، وتضحياته العديدة، وإعلانه لبشارة الخلاص للجميع. وأنه بالرغم من المصاعب التي تنتظره في أورشليم، فإن نفسه ليست ثمينة عنده، حتى يتم بفرح الشهادة عن بشارة نعمة الله.

ثم تابع الرسول بولس موجهها كلامه إلى شيوخ الكنيسة أو قسوسها في أفسس قائلاً: "والآن ها أنا أعلم أنكم لا ترون وجهي أيضاً، أنتم جميعاً الذين مررت بينكم كارزا بملكوت الله." (أعمال الرسل ٢٠: ٢٥) لقد كان الرسول بولس يعلم بالروح القدس، أن السجن والمصاعب تنتظره عندما يعود إلى أورشليم. لهذا أعلن لهؤلاء الشيوخ في أفسس أنهم لن يروا وجهه بعد اليوم. وكان بذلك يودّعهم ويقدم لهم التوصيات الأخيرة. وأوضح لهم أن رسالته الوحيدة بينهم كانت هي التبشير بملكوت الله. فما هي بشارة ملكوت الله هذه يا ترى؟

لو عدنا إلى الوراء قليلا لوجدنا أن النبي يحيى أي يوحنا المعمدان كان يركز ببشارة الملكوت. فقد كان يوحنا المعمدان يبشّر الجموع قائلا: " توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات." (متى ٣: ٢) . أي اقترب الزمان الذي سيُحل فيه ملكوت الله ويُعلن، عن طريق مجيء المخلص والملك المسيح. وعندما أتى المخلص المسيح أخذ يركز ببشارة ملكوت الله ويقول: " **قد كمل الزمان** واقترب ملكوت الله. فتوبوا وآمنوا بالإنجيل." (مرقس ١: ١٥) أي تحقق الزمان الذي فيه سيصبح ملكوت الله متوفرا لجميع البشر. وما على الناس إلا أن يتوبوا ويؤمنوا ببشارة الإنجيل المفرحة، لكي يدخلوا إلى ملكوت الله. لكن ما هو ملكوت الله؟ إنه المكان الذي يملك فيه الله. وهكذا عندما يؤمن الإنسان بالمخلص المسيح يملك الله على حياته.

أما كيفية حلول ملكوت الله وإعلانه، فقد تم عن طريق موت المسيح الكفاري على الصليب وقيامته الظاهرة من بين الأموات، ثم صعوده حيا إلى السماء، وجلسه عن يمين الله الأب في مركز القوة والسلطان. فالمسيح بموته الكفاري على الصليب من أجل ذنوبنا نحن البشر، فتح الطريق لإعادة العلاقة بيننا نحن البشر الخطاة والله القدوس. وقيامته الظاهرة قهر المسيح أعداء الإنسان الخطية والموت وإبليس الشيطان. وهكذا عندما يؤمن الإنسان بموت المسيح من أجل ذنوبه وقيامته الظاهرة، ينال الغفران الكامل، ويتحرر من عبودية الخطية والشيطان. أي يملك الله على حياته، ويصبح من أولاد الله المبررين المستحقين للحياة الأبدية. وتعبير آخر يدخل المؤمن إلى ملكوت الله. إذ يملك على حياته الآن الملك المسيح المقام، والذي جلس عن يمين الله الأب، في مركز القوة والسلطان. هذه هي بشارة ملكوت الله التي كان يركز بها الرسول بولس.

إن بشارة ملكوت الله هي نفسها إذن، بشارة الخلاص المفرحة، عن طريق الإيمان بالمخلص المسيح، ومُلك الله على حياة الإنسان. هذه البشارة التي كرز بها يوحنا المعمدان والمخلص المسيح، والرسل الأوتل. لقد حل ملكوت الله وأُعلن بمجيء المخلص والملك المسيح، وإتمامه لعمل الفداء وصعوده حيا إلى السماء. وما علينا نحن البشر إلا أن نقبل بشارة الخلاص هذه، حتى ندخل إلى ملكوت الله. ولهذا قال المخلص المسيح لمعلم اليهود نيقوديموس، أنه ينبغي على الإنسان أن يولد من روح الله لكي يدخل إلى ملكوت الله. أي عليه أن يتوب ويؤمن بخلاص الله، لكي يحل عليه روح الله القدوس، ويصبح ملكا لله. وماذا عنك صديقي المستمع؟ ألا ترغب أن تدخل إلى ملكوت الله؟ ويصبح الله بالتالي ملكا على حياتك؟ تعال بتوبة صادقة وإيمان قلبي بالمخلص المسيح، الذي مات وقام وصعد حيا إلى السماء لكي يعلن ملكوت الله.

نتابع الآن مستمعي الكريم، حديث الرسول بولس إلى شيوخ الكنيسة أو قسوسها في أفسس. إذ واصل كلامه فقال: " لذلك أشهد لكم اليوم أي بريء من دمكم جميعا، لأنني لم أمتنع عن إبلاغكم جميع مقاصد الله. فاسهروا إذن على أنفسكم وعلى جميع القطيع الذي عيتكم بينه الروح القدس نظارا، لترعوا كنيسة الله التي اشتراها بدمه." (أعمال الرسل ٢٠: ٢٦-٢٨) أكد الرسول بولس هنا أنه بريء من دم الجميع إذ أبلغهم كل إعلانات الله. ولهذا حثهم لكي يكونوا صاحبين ويسهروا على أنفسهم، وعلى قطيع المؤمنين الذي أقامهم الروح القدس مسؤولين عنه. والهدف لكي يرعوا أي يُنمو كنيسة الله التي اشتراها بدمه.

ولنلاحظ قول الرسول بولس هنا أن الله اشترى الكنيسة بدمه. وهذا يؤكد لاهوت المسيح، فالمسيح هو كلمة الله الأزلي، الإبن الوحيد الذي كان متحدا مع الله الأب منذ الأزل، والذي تجسد لكي يقوم بعمل الفداء. أي أن الله من خلال المسيح الذي هو الإقنوم الثاني في اللاهوت قد اشترى الكنيسة بدمه. وهذا يؤكد لنا أننا كمسيحيين نؤمن بوحداية الله، فإله واحد في أقانيمه الثلاثة الأب والإبن والروح القدس.

وأضاف الرسول بولس قائلا: " فإني أعلم أنه بعد رحيلي سيندس بينكم نئاب خاطفة، لا تشفق على القطيع. بل إن قوما منكم أنتم سيقومون ويعلمون تعاليم منحرفة، ليجروا التلاميذ وراءهم." (أعمال الرسل ٢٠: ٢٩ و٣٠) لقد كانت هذه نبوءة بالروح القدس نطق بها الرسول بولس، أنه سيكون بين رعاة أو قسوس الكنيسة أناس يخدعون المؤمنين ويضلونهم بتعاليم مضلة. وهذا الذي حصل إذ قام الكثيرون ونشروا تعاليم منحرفة.

ولهذا حثّ الرسول بولس الشيوخ قائلا: "لذلك كونوا متيقظين، وتذكروا أنني، مدة ثلاث سنين، لم أتوقف ليلا ونهارا عن نصح كل واحد منكم وأنا انرف الدموع. والآن أسلمكم إلى الله وإلى كلمة نعمته القادرة أن تبنيكم وتعطيكم ميراثا تشتركون فيه مع جميع المقدسين لله." (أعمال الرسل ٢٠: ٣١ و٣٢) دعا الرسول بولس رعاة الكنيسة أن يكونوا ساهرين، لكي لا يقعوا بفخ الضلال. وذكرهم أنه لم يتوقف ليلا ونهارا عن تقديم النصيحة بدموع لكل واحد منهم. وهو بذلك ضرب مثلا من شخصه لكي يحذو حذوه. لكن الرسول بولس في نفس الوقت أسلم شيوخ الكنيسة إلى عناية الله، وإلى كلمة نعمته القادرة أن تبنيهم وتحفظهم، وتعطيهم الميراث الذي يشتركون فيه مع جميع المؤمنين المقدسين لله.

ثم قدّم الرسول بولس لهم مثالا آخر من حياته إذ ختم حديثه قائلاً: "ما اشتهيت يوماً فضة ولا ذهباً ولا ثوباً من عند أحد. وأنتم تعلمون أنني اشتغلت بيديّ هاتين لأسد حاجاتي وحاجات مرافقيّ. وقد أظهرت لكم بوضوح كيف يجب أن نبذل الجهد لنساعد المحتاجين، متذكّرين كلمات الرب يسوع، إذ قال: الغبطة في العطاء أكثر مما في الأخذ." (أعمال الرسل ٢٠: ٣٣-٣٥) لقد ركز الرسول بولس على أهمية أن يكون قسوس الكنيسة مبتعدين عن الطمع المادي. لا بل دعاهم لكي يساعدوا المحتاجين، مقدماً مثالا من حياته. وأن يتذكروا كلمات المخلص المسيح الذي أكد أن الغبطة الحقة هي في العطاء، وليس في الأخذ.